# سورةُ الانفِطارِ
# من آية (1) إلى آية (9)
# الجزء الأول

أسماء السورة:

■سُمِّيَت هذه السُّورةُ: بسُورةِ (الانفِطارِ) .

■وسُمِّيَت أيضًا بسورةِ: إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ: فعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((مَن سَرَّه أن يَنظُرَ إلى يومِ القِيامةِ كأنَّه رأيُ عَينٍ فلْيَقرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ))رواه الترميذي .

وعن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: ((قام مُعاذٌ فصَلَّى العِشاءَ الآخِرةَ، فطَوَّلَ، فقال النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أفتَّانٌ يا مُعاذُ؟! أفتَّانٌ يا مُعاذُ؟! أينَ كُنتَ عن سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَالضُّحَى وإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ؟)) أخرجه النَّسائيُّ .

فضائل السورة وخصائصها:

☜مَن قَرَأها فكأنَّه يَنظُرُ إلى يومِ القيامةِ رَأْيَ عَينٍ: كما في حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما المتقدِّمِ.

بيانُ المكِّيِّ والمدَنيِّ:

✉ سورةُ الانفِطارِ مَكِّيَّةٌ، ونقَلَ الإجماعَ على ذلك غيرُ واحِدٍ مِنَ المفَسِّرينَ.

مَقاصِدُ السُّورةِ:

■مِن أهَمِّ مقاصِدِ السُّورةِ: إثباتُ البعثِ، وبيانُ أهوالِ يومِ القيامةِ، وتنبيهُ النَّاسِ إلى وجوبِ الاستعدادِ له.

موضوعاتُ السورةِ:

✉ مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- وَصفُ أهوالِ يومِ القيامةِ.

2- ذِكرُ جانبٍ مِن نِعَمِ اللهِ على خَلْقِه.

3- بيانُ أنَّ أعمالَ الإنسانِ مُوكَلٌ بها ملائِكةٌ كِرامٌ كاتِبونَ.

4- بيانُ حُسنِ عاقِبةِ الأبرارِ، وسُوءِ عاقِبةِ الفُجَّارِ.

5- بيانُ عِظَمِ يومِ الحِسابِ وشِدَّةِ هَولِه، وتجَرُّدِ النُّفوسِ مِن كُلِّ حَولٍ فيه، وتفَرُّدِ اللهِ سُبحانَه فيه بالأمرِ.

مضمون السورة : تعالج السورة الانقلاب الكوني الذي يصاحب قيام الساعة، وما يحدث فيه من أحداث جسام ، ثم تبين حال الأبرار والفجار يوم البعث والنشور .

1- ابتدأت السورة ببيان مشاهد الانقلاب الكوني الرهيب الذي يحدث يوم القيامة وتأثيره على كل شيء ، قال تعالى:(إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ {1} وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ {2} وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ {3} وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ {4} عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ {5})

2- ثم تحدثت عن جحود الإنسان وكفرانه بنعمة ربه وعدم شكره للخالق على النعم ، قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ {6} الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ {7} فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ {8} )

3- وذكرت علّة الجحود والإنكار ، ووضحت أن لكل إنسان ملائكة يتعقبون أعماله، قال تعالى: (كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ {9} وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ {10} كِرَاماً كَاتِبِينَ {11} يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ {12})

4- ذكرت انقسام الناس لقسمين، أبرار وفجار وبينت عاقبة كلا الفريقين ، قال تعالى: ( إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ {13} وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ {14} يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ {15} وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ {16})

5- وختمت بتصوير هول القيامة وتفرد الله تعالى بالحكم والسلطان، قال تعالى:(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ {17} ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ {18} يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ {19})

قال البقاعي: سورة الانفطار مقصودها التحذير من الانهماك في الأعمال السيئة اغتراراً بإحسان الرب وكرمه ونسياناً ليوم الدين الذي يحاسب فيه الله العباد على النقير والقطمير، ولا تغني فيه نفس عن نفس شيئا، واسمها الانفطار أدل ما فيها على ذلك.

**أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)**

**(إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (2) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (4) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (5) .**

**﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ ﴿1﴾**

**(إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ)** أي: إذا السَّماءُ مع قُوَّتِها وشِدَّةِ إحكامِها قد انشَقَّت يومَ القيامةِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ [المزمل: 18] .

**﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ ﴿2﴾**

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا كان يَلزَمُ مِن انفِطارِها وَهْيُها، وعَدَمُ إمساكِها لِما أُثبِتَ بها؛ ليَكونَ ذلك أشَدَّ تخويفًا لِمَن تحتَها بأنَّهم يَترَقَّبونَ كُلَّ وَقتٍ سُقوطَها أو سُقوطَ طائفةٍ منها فَوقَهم، فيَكونونَ بحيثُ لا يَقِرُّ لهم قَرارٌ؛ قال

**(وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ)** أي: وإذا الكواكِبُ تَساقَطَت وتفَرَّقَت. موسوعة التفسير

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ ﴿3﴾

(وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) أي: وإذا البِحارُ المتفَرِّقةُ في الأرضِ قد فُجِّرَت تَفجيرًا كَثيرًا، وفُتِح بعضُها إلى بعضٍ. موسوعة التفسير

قال الماوَرْدي: (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ فيه ثلاثةُ أقاويلَ: أحَدُها: يَبِسَت. قاله الحسَنُ. الثَّاني: خُلِطَت فصارت بحرًا واحدًا. وهذا معنى قَولِ ابنِ عبَّاسٍ، قال: وهو سَبعةُ أبحُرٍ، فتصيرُ بحرًا واحدًا. الثَّالثُ: فُجِّر عَذبُها في مالحِها: ومالِحُها في عَذْبِها. قاله قَتادةُ. ويحتَمِلُ رابعًا: أي: فاضت).

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ ﴿4﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا كان ما سبَق مُقتَضِيًا لغَمْرِ القُبورِ، فأوهمَ أنَّ أهلَها لا يقومونَ -كما كان العَرَبُ يَعتَقِدونَ أنَّ مَن مات فات- قال دافِعًا لذلك على نَمَطِ كلامِ القادِرينَ؛ إشارةً إلى سُهولةِ ذلك عليه

(وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) أي: وإذا القُبورُ أُثيرَت وقُلِبَ ما في بَطْنِها مِن الأمواتِ إلى ظَهْرِها، فبَعَثَهم اللهُ تعالى أحياءً. موسوعة التفسير

أَخْرَجَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَحُشِرُوا لِلْمَوْقِفِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لِلْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

قال ابنُ عطية: دَلالةٌ على سُرعةِ الانتِشارِ، كبَعْثرةِ الحَبِّ مِن الكَفِّ، كما في قَولِه تعالى: يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا [المعارج: 43] .

كما قال تعالى: أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ [العاديات: 9] .

قال السعدي: فحينئذ ينكشف الغطاء، ويزول ما كان خفيا، وتعلم كل نفس ما معها من الأرباح والخسران، هنالك يعض الظالم على يديه إذا رأى أعماله باطلة، وميزانه قد خف، والمظالم قد تداعت إليه، والسيئات قد حضرت لديه، وأيقن بالشقاء الأبدي والعذاب السرمدي .

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: 39 - 42]

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ﴿5﴾

(عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) أي: إذا وقَعَت تلك الأمورُ عَلِمَتْ كُلُّ نفْسٍ حِينَها بجميعِ أعمالِها؛ خَيْرِها وشَرِّها. موسوعة التفسير

قال البقاعي: لعَلَّه نَكَّرَ؛ إشارةً إلى أنَّه ينبغي لِمَن وَهَبه اللهُ عقلًا أن يُجَوِّزَ أنَّه هو المرادُ، فيَخافَ.

وقال ابنُ عطية: (إنَّها عبارةٌ عن جميعِ الأعمالِ؛ لأنَّ هذا التَّقسيمَ يَعُمُّ الطَّاعاتِ المعمولةَ والمتروكةَ، وكذلك المعاصي).

قال الرازي: زَجْرٌ عن المعصيةِ، وترغيبٌ في الطَّاعةِ.

☜ما قدمت من خير وشر، وما أخرت يعني بعد الموت ما الذي أخره من بعده؟ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. ومن سن بالإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، فهذا يكون مما أخره هذا الإنسان الذي ابتدع بدعة فصار الناس يعملون بها، فأسس ضلالة، أسس غواية، فصار ذلك سارياً وجارياً في الناس بعد موته، فهذا مما أخره، فلا يزال الإثم يتصل به حيناً بعد حين.

وقال ابنُ عطية: دَلالةٌ على مُؤاخَذةِ الإنسانِ بما عُمِلَ به بَعْدَه مِمَّا سَنَّه مِن هُدًى أو ضَلالةٍ، كقَولِه تعالى: يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ [القيامة: 13] بِناءً على أنَّ المعنَى: بِمَا قَدَّمَ مُباشِرًا له، وَأَخَّرَ مِمَّا عُمِلَ به بَعْدَه مِمَّا سَنَّه مِن هُدًى أو ضَلالٍ.

وكذلك مما ذكر معنى قدمت وأخرت، وهذا العلم يحصل عند العلم التفصيلي، يحصل عند نشر الصحف، يعلم ما قدم وأخر، وعندها يقولون: ( يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) [الكهف:49].

ويكون بهذا الاعتبار كل الأعمال، ما قدمت وأخرت، أوائل الأعمال وأواخر الأعمال، الصغائر والكبائر، كما قال الله -تبارك وتعالى-:( أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ )[المجادلة:6]، مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً الصغار والكبار كل ذلك أحصاه الله على عباده. خالد السبت

حتى الكلمة إما أن تكون لك أو عليك فإما خير أو شر أو حسرة وندامة عليك يوم القيامة، ربما خضنا في حديث رأيناه أمرا بسيطاً لكنه عند الله تعالى عظيم ... ((وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ)) [النور: 15].

قال رسول الله ρ: "إنَّ الرَّجلَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ من رضوانِ اللهِ، ما كان يظُنُّ أن تبلُغَ ما بلغت، يكتبُ اللهُ له بها رضوانَه إلى يومِ يلقاه، وإنَّ الرَّجلَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ من سخطِ اللهِ، ما كان يظُنُّ أن تبلُغَ ما بلغت، يكتبُ اللهُ له بها سخطَه إلى يومِ يلقاه". السلسلة الصحيحة

فإن بيننا وبين الله موعد إذا لم نتفكر في هذا الموعد لا تنصلح قلوبنا، ولا تستقيم أعمالنا.

قال النبي -ρ-: "أنَّ اللَّهَ تبارَك وتعالى إذا كانَ يومُ القيامةِ ينزلُ إلى العبادِ ليقضيَ بينَهم وَكلُّ أمَّةٍ جاثيةٌ". الترمذي

قال النبي ρ "ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه اللهُ يومَ القيامةِ، ليس بينه وبينه تَرجمانٌ، فينظرُ أيْمَنَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ أشأَمَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ بين يدَيه، فلا يرى إلا النَّارَ تِلقاءَ وجهِه، فاتَّقوا النَّارَ، ولو بشِقِّ تمرةٍ، ولو بكلمةٍ طيِّبةٍ". رواه البخاري

ولذلك جاء في الحديث القدسي أن الله تعالى يقول: "يا عِبَادِي، إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ". مسلم

(يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ)[ الحاقة:18].

(يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8) كَلا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12) .

يقول تعالى معاتبا للإنسان المقصر في حق ربه، المتجرئ على مساخطه: (يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ) أي أي شيء خدعك وجرّأك على العصيان؟ أتهاونا منك في حقوقه؟ أم احتقارا منك لعذابه؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ﴿6﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا كان الإنسانُ إذا اعتَقَد البَعثَ قد يقولُ تهاوُنًا ببَعضِ المعاصي: المرجِعُ إلى كريمٍ، ولا يَفعَلُ بي إلَّا خيرًا؛ أنتج قَولَه مُنكِرًا سُبحانَه وتعالى على مَن يقولُ هذا اغترارًا بخَدْعِ الشَّيطانِ

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) أي: يا أيُّها الإنسانُ ما الَّذي خَدَعَك وسوَّلَ لك التَّجَرُّؤَ على الكُفْرِ برَبِّك أو مَعصيتِه، وهو الكريمُ ذو الكَمالِ والجَمالِ، الَّذي ينبغي أن يُعبَدَ ويُطاعَ شُكرًا لإحسانِه، ومُقابَلةً لكَرَمِه. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور: استِئْنافٌ ابتِدائيٌّ؛ لأنَّ ما قبْلَه بمَنزِلةِ المقدِّمةِ له؛ لتَهيئةِ السَّامِعِ لتَلقِّي هذه الموعِظةِ؛ لأنَّ ما سَبَقَه مِن التَّهويلِ والإنْذارِ يُهيِّئُ النَّفْسَ لقَبولِ الموعِظةِ؛ إذ الموعِظةُ تَكونُ أشَدَّ تَغَلْغُلًا في القَلبِ حينَئذٍ؛ لِما يَشعُرُ به السَّامعُ مِن انكِسارِ نفْسِه، ورِقَّةِ قَلْبِه، فيَزولُ عنه طُغيانُ المكابَرةِ والعِنادِ، فخَطَرَ في النُّفوسِ تَرقُّبُ شَيءٍ بعْدَ ذلك.

قال ابن عثيمين: المرادُ: جِنسُ بني آدَمَ، فيَدخُلُ في ذلك الكُفَّارُ وعُصاةُ المؤمنينَ.

يَعني: أيُّها الغافِلُ، وَراءَك هذا الخَطْبُ الجَسيمُ، والخَطَرُ العَظيمُ، وأنت قد اغتَرَرْتَ بما تَكرَّمَ عليْك رَبُّك، حيثُ خَلَقَك فسَوَّاك فعَدَلَك، في أيِّ صُورةٍ ما شاء رَكَّبَك، فاشتَغَلْتَ بذلك عن التَّزوُّدِ لدارِ القَرارِ، وأَخْلَدتَ إلى دارِ الغُرورِ.

ولَمَّا كان مُؤدَّى غَفلةِ الإنسانِ الاغْتِرارَ إلى الذُّهولِ عن المستقَرِّ الأَصليِّ، نَزَّلَه مَنزِلةَ التَّكْذيبِ بيَومِ الدِّينِ، حتَّى أضرَبَ عنه بقولِه: كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ، وهذا كما تَرى مِن حالِ المتَمادي في أُمورِ الدُّنيا مِن المتَسمِّينَ بالإسلامِ، إذا سَمِعَ شَيئًا مِن أَمرِ الآخِرةِ تَقَبَّضَ واشْمَأزَّ؛ لِغايةِ انهِماكِه في لَذَّاتِ العاجِلةِ.

أنَّك لَمَّا كنتَ ترى حِلْمَ اللهِ على خَلْقِه ظَنَنْتَ أنَّ ذلك لأنَّه لا حِسابَ، ولا دارَ إلَّا هذه الدارُ، فما الَّذي دعاك إلى هذا الاغترارِ، وجَرَّأك على إنكارِ الحَشرِ والنَّشرِ؟! فإنَّ رَبَّك كريمٌ، فهو لكَرَمِه لا يُعاجِلُ بالعُقوبةِ؛ بَسطًا في مُدَّةِ التَّوبةِ، وتأخيرًا للجزاءِ إلى أن يَجمَعَ النَّاسَ في الدَّارِ الَّتي جعَلَها لهم للجَزاءِ. فالحاصِلُ أنَّ تَرْكَ المعاجَلةِ بالعُقوبةِ مِن أجْلِ الكَرَمِ، وذلك لا يَقتضي الاغترارَ بأنَّه لا دارَ بعْدَ هذه الدَّارِ.

فإنَّ قولَه: عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ عامٌّ اشتَملَ على الفُجَّارِ والأبْرارِ، وقولَه: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ تَقسيمٌ تَضمَّنَ مَعنى التَّفريقِ ؛ فإنَّه تعالى لَمَّا بيَّنَ أحوالَ القيامةِ بانفِطارِ السَّماءِ، وانتِثارِ الكَواكِبِ، وانفِجارِ الأبحُرِ، والبَعثِ عن القُبورِ، ثمَّ اطِّلاعِ كُلِّ نفْسٍ بَرِّها وفاجِرِها على عمَلِها، خَيرِها وشَرِّها؛ نَبَّهَ جِنسَ الإنسانِ عن رَقدةِ الغَفلةِ وسِنَةِ الجَهالةِ بقولِه: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ.

قال ابن عاشور: وإيثارُ تَعريفِ اللهِ بوَصْفِ (رَبِّك) دُون ذِكرِ اسمِ الجَلالةِ؛ لِما في مَعنى الرَّبِّ مِن المِلْكِ والإنشاءِ والرِّفْقِ؛ ففيه تَذْكيرٌ للإنسانِ بمُوجِباتِ استِحقاقِ الرَّبِّ طاعةَ مَربوبِه؛ فهو تَعريضٌ بالتَّوبيخِ.

وإجراءُ وصْفِ الكريمِ دونَ غيرِه مِن صِفاتِ اللهِ؛ للتَّذْكيرِ بنِعمتِه على النَّاسِ ولُطفِه بِهم؛ فإنَّ الكَريمَ حَقيقٌ بالشُّكرِ والطَّاعةِ، وأيضًا فذِكْرُ الكريمِ والتَّعرُّضُ لعُنوانِ كَرَمِه تعالَى؛ للمُبالَغةِ في المنعِ عنِ الاغترارِ؛ فإنَّ مَحْضَ الكرَمِ لا يَقتضي إهمالَ الظَّالِمِ، وتسويةَ الموالي والمعادِي، والمطيعِ والعاصي؛ فهو للإيذانِ بأنَّه ليس ممَّا يَصلُحُ أنْ يَكونَ مَدارًا لاغترارِه؛ يُغْويه الشَّيطانُ ويَقولُ له: افعَلْ ما شِئتَ؛ فإنَّ رَبَّك كَريمٌ، قد تَفضَّلَ عليْك في الدُّنيا، وسيَفعَلُ مِثْلَه في الآخِرةِ، ولا يُعذِّبُ أحدًا ولا يُعاجِلُ بالعقوبةِ؛ فإنَّه قِياسٌ عَقيمٌ، وتَمنِيةٌ باطِلةٌ، بل هو ممَّا يُوجِبُ المبالَغةَ في الإقْبالِ على الإيمانِ والطَّاعةِ، والاجتِنابِ عن الكُفرِ والعِصيانِ، كأنَّه قيلَ: ما حَمَلَك على عِصيانِ رَبِّك الموصوفِ بالصِّفاتِ الزَّاجِرةِ عنه الدَّاعِيةِ إلى خِلافِه؟! فهو تَعْييرٌ وتَوبيخٌ، وليس بإطْماعٍ؛ فالدَّلالةُ على كَثرةِ كرَمِه تَستدعِي الجِدَّ في طاعتِه، لا الانهماكَ في عِصيانِه اغترارًا بكَرمِه.

الدرر السنية

## ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ ﴿7﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: لَمَّا وَصَف تعالى نفْسَه بالكَرَمِ؛ ذكَرَ هذه الأُمورَ الثَّلاثةَ كالدَّلالةِ على تحَقُّقِ ذلك الكَرَمِ

**(الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)** أي: الَّذي أوجَدَك فجَعَل خَلْقَك سَوِيًّا سَلِيمًا مُتقَنًا، فصِرْتَ مُعتَدِلَ الخِلْقةِ، مُتناسِبَ الأعضاءِ. موسوعة التفسير

قال أبو السعود: صِفةٌ ثانيةٌ مُقرِّرةٌ للرُّبوبيَّةِ، مُبيِّنةٌ للكَرَمِ، مُنبِّهةٌ على أنَّ مَن قَدَرَ على ذلك بَدْءًا قَدَرَ عليه إعادةً.

■فَسَوَّاكَ: أي: جعلَك سَويًّا مُتساويَ الأعضاءِ والقُوى على وَفْقِ الحكمةِ ومُقتضاها، سالِمًا.

قال ابن عاشور: والوَصفُ الثَّالثُ الَّذي تَضمَّنَتْه الصِّلةُ فَعَدَلَكَ * في أَيِّ صُورَةٍ جامِعٌ لكَثيرٍ ممَّا يُؤذِنُ به الوَصْفانِ الأوَّلانِ خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ؛ فإنَّ الخَلْقَ والتَّسويةَ والتَّعديلَ وتَحسينَ الصُّورةِ مِن الرِّفْقِ بالمخلوقِ، وهي نِعَمٌ عليه، وجَميعُ ذلك تَعريضٌ بالتَّوبيخِ على كُفرانِ نِعمتِه بعِبادةِ غَيرِه.

كما قال الله تبارك وتعالى: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ [المؤمنون: 14] .

وقال عزَّ وجلَّ: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ [التين: 4] .

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ ﴿8﴾

**(فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)** أي: ركَّبك اللهُ -أيُّها الإنسانُ- في أيِّ صُورةٍ شاء أن تكونَ عليها. موسوعة التفسير

قال البِقاعي: (مَا شَاءَ رَكَّبَكَ أي: ألَّف تركيبَ أعضائِك، وجَمَعَ الرُّوحَ إلى البَدَنِ).

كما قال تعالى: وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ [غافر: 64] .

إن هذا إلا من جهلك وظلمك وعنادك ، فاحمد الله أن لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات؛ فلهذا قال تعالى: ( فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ )

ولذلك الإنسان يحمد الله –عز وجل- على أن جعله في هذه الهيئة التي كرمه بها، قال سُبحانَه: (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) [السجدة: 7] .

روى الإمام أحمد عن بُسر بن جحاش القرشي أن رسول الله -ρ- بصق يوماً في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال: "يقولُ اللهُ تعالى : يا ابْنَ آدمَ ! أنَّى تُعْجِزُني وقد خلَقْتُكَ من مِثْلِ هذا ؟ حتى إذا سوَّيْتُك وعَدَلْتُك ، مَشَيتَ بين بُرْدَيْنِ ولِلأرضِ منكَ وئِيدٌ، فجمعْتَ ومَنعْتَ، حتى إذا بَلَغَتِ التَّرَاقيَ قُلتَ: أتَصدَّقُ، وأنَّى أوانُ الصَّدَقةِ ؟ !" صحيح الجامع

جحود الإنسان وكفرانه لنعم ربه، وهو يتلقى النعمة منه جل وعلا، ولكنه لا يعرف للنعمة حقها، ولا يعرف لربه قدره، ولا يشكر على الفضل والنعمة والكرامة.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ ﴿9﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: لَمَّا بَيَّنَ سُبحانَه بالدَّلائِلِ العَقليَّةِ صِحَّةَ القَولِ بالبَعثِ والنُّشورِ على الجُملةِ؛ فَرَّعَ عليها شَرْحَ تفاصيلِ الأحوالِ المتعَلِّقةِ بذلك

**(كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ)** أي: ارتَدِعوا وانزَجِروا عن الكُفْرِ بربِّكم ومَعْصيتِه، فالواجِبُ في حَقِّ مَن خَلَقَكم فسَوَّاكم وعَدَلَكم وصَوَّرَكم: طاعتُه وشُكْرُه؛ فلا عُذْرَ لكم في تَرْكِ ذلك، وإنَّما الَّذي يَحمِلُكم على تَرْكِه هو تكذيبُكم باليومِ الآخِرِ الَّذي يُحاسَبُ فيه النَّاسُ، ويُجازَونَ على أعمالِهم. موسوعة التفسير

كَلَّا إضْرابًا انتِقاليًّا مِن غَرَضِ التَّوبيخِ والزَّجرِ على الكُفرِ إلى ذِكرِ جُرْمٍ فَظيعٍ آخَرَ، وهو التَّكذيبُ بالبَعثِ والجَزاءِ.

التّكذيب النّظري قليل، أمّا الخطير فهو التّكذيب العملي، ما التّكذيب العملي؟ أن تقول أنا مؤمن بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، لكن أعمالك تخالف أقوالك، تفحص عمله فلا يدخل اليوم الآخر في حساباته أبدًا، يعني مثلاً يأكل مالاً حرامًا، يعتدي على أعراض النّاس، يخون الأمانة، يزني، يتعامل مع البنوك الربوية، سؤال هل هذا مؤمن بيوم الدين ومصدق بالحساب والجزاء لا أقول علمياً،

بل هو مكذبٌ عمليًا بيوم الدّين، بلسان الحال لا لسان المقال، لأنه لو صدق ما تمادى في التجرأ على حدود الله، لأن إيمانه وتصديقه كفيل بردعه.